

مَيَّ زِيَادَة: أديبة الشرق والعروبة

محمد مبارك أ.

- باحث، قسم العربية، جامعة كيرلا، كاريوتام، ترونتبرام، كيرلا

Email:mubarakcampus@gmail.com

عصر مَيَّ

كان عصر مي عصر الأدب الأنيق الذي امتاز أصحابه بطرفة القول الحديث والتأليف في الرسائل التي وجهوها بعضهم إلى بعض أو عبروا فيها عن خواطرهم على مثال المترسلين في العصر العباسي، فرسائل الرافعي والعقاد والريحاني وجبران نماذج من الأدب الرفيع الذي يغذى الفكر والشعور¹. و عصرها عصر رائدات



النهضة النسائية مثل عائشة التيمورية، الشاعرة زينب فواز صاحبة ديوان "حلية الطراز"، ومريانا مراس صاحبة "ديوان بنت فكر"، وملك حفني ناصف مؤلفة "النسائيات"، وماري عجمي الشاعرة الدمشقية وصاحب مجلة "فتاة الشرق"، وعفيفة صعب منشئة مجلة الخدر، وحولية صاحبة "المرأة الجديدة" وسلوى صايغ صاحبة "النسمات" وغيرها².

حياة مَيَّ

ولدت مي زيادة في فلسطين عند غروب الحادي عشر من شهر شباط سنة 1886. والدها إلياس زخور زيادة لبناني، ووالدتها نزهة معمر فلسطينية. دخلت مي في مدرسة الراهبات اليوسفيات في الناصرة بفلسطين سنة 1892، وظلت فيها لغاية سنة 1899³. ولما بلغت مي عامها الرابع، أتى بها والدها

¹ مي زيادة في حياتها وآثارها لوداد سكاكيني، ص 27.
² مي زيادة التوهج والأفول، طبعة الأولى، 1987، ص 16.
³ فن المراسلة عن مي زيادة لأمل داعوق سعد، ص 49.

إلى لبنان وأدخلها مدرسة راهبات الزيارة في عينطورة، واستمرت هناك لغاية سنة 1903. وفي سنة 1904 انتقلت من مدرسة عينطورة إلى مدرسة الراهبات العازريات في آخر محلة خندق في بيروت عند الشارع المعروف اليوم باسم شارع الأمير بشير. وعادت مي إلى الناصرة حيث ظلت هناك أربع سنوات تقريبا. وفي سنة 1908 انتقلت مع والديها إلى القاهرة، وذلك بعد أن قرر والدها ترك مهنة التدريس في الناصرة والانتقال إلى القاهرة، حيث كان المجال مفتوحا أمام العديد من اللبنانيين للعمل في المجالات الثقافية ولاسيما الصحافة. وفي القاهرة دخل إلياس زيادة العمل الصحفي في الجريدة "المحروسة" وأخذت مي تقوم بإعطاء دروس خصوصية لبنات إدريس غالب وهو أحد أثرياء مصر¹.

كانت مي تجيد ست لغات على الأقل. نالت ثقافة عامة متينة الأساس في مدرسة عينطورة لرهبات الزيارة. أتقنت في البيانو والغناء. ودرست تاريخ الفلسفة والعلوم وآداب اللغة العربية في الجامعة المصرية. وفي سنة 1910 نشر ديوان بالفرنسية لمي تحت عنوان أزهير حلم Fleuride Reve، واتخذت مي اسمها مستعارا هو ايزيس كوبيا ظهر على غلاف الديوان. وألقت مي بلطفي السيد ولقنها أصول اللغة العربية من خلال القرآن الكريم. وقرأت كتاب "النسائيات" لبادية و"مجموعة الأشعار" للبارودي و"تحرير المرأة" لقاسم أمين². وما لبثت مي أن ترجمت عن الفرنسية إلى اللغة العربية قصة "رجوع الموجة" لبراد، ونشرت الترجمة سلسلة في جريدة المحروسة. ولم تكتف مي باللغة العربية والفرنسية بل أخذت تدرس الألمانية والإنكليزية، كما قامت مي بترجمة رواية هجرة الفرنسيين إلى أمريكا عن الإنكليزية، ونشرت تحت عنوان "الحب في العذاب"³. وجاءت مي إلى لبنان سنة 1911 حيث انصرفت إلى ترجمة قصة "الحب الألمتي" لماكس مولر عن الألمانية. وقد نشرت

¹ فن المراسلة عن مي زيادة لأمل داعوق سعد، ص 49.

² مي زيادة في حياتها وأثارها لوداد سكاكيني، ص 16.

³ أمل داعوق سعد، ص 50.

خواتمها المنشورة مسلسلًا تحت عنوان "السانحة الأولى" في كتاب تحت عنوان "سوانح فتاة" بناءً على اقتراح ولي الدين يكن في رسالة أرسلها إليها في 1912¹. وإلى جانب النشاط الصحفي والأدبي الذي كانت تقوم مي بكتابة مقالات وترجمة وتأليف الكتب. كانت تشارك في الحركة النسائية على اختلاف جوانبها الثقافية والاجتماعية والسياسية. وكان لا بد أن تعجب مي بالكاتبة الكبيرة باحثة البادية، وهو اسم اشتهرت به الكاتبة ملك حفني ناصف ووقعت كتاباتها به. وقد تبادلت مي مع باحثة البادية رسائل عديدة تعرفت بها وارتبطت معها بصداقة وطيدة².

وجاءت الأعوام من 1930 إلى 1932 حافلة بالنكبات لمي. وكانت بداية الحزن الحقيقي عند مي يوم مات أبوها الصحفي إلياس زيادة، صاحب الجريدة المحروسة في سنة 1930، فقد أثر المصاب في نفسها تأثيرًا كبيرًا. ومات صديقها جبران سنة 1931. توفيت أمها في سنة 1932³. وأثرت هذه الحوادث فيها تأثيرًا كبيرًا حتى أنها امتنعت تمامًا عن الكتابة منذ رحيل جبران. ولم يقصر الأمر على ذلك القدر من الآلام بل عانت الخداع والنفاق أيضًا على يد ابن عمها يوسف زيادة. وكان يوسف طامعًا في الاستيلاء على ثروتها الصغيرة، فأشاع هناك أنها مجنونة وتمكن من إدخالها مستشفى "العصفورية" بعد أن نجح هو أقرباؤه من العائلة في استعداد شهادات طبية مزورة بذلك، وبعد إدخالها المستشفى بدئوا تنفيذ الخطوة الثانية، إذ أصدروا قرارًا بالحجز عليها في لبنان ثم في مصر بالقاهرة⁴. وقد ماتت مي زيادة في عام 1941.

¹ أمل داعوق سعد، ص 50.

² أفق الإسلام، السنة الخامسة، العدد 3 أيلول 1997، ص 71.

³ مي أدبية الشرق والعروبة، ص 43.

⁴ المنهل، العدد 476، ص 78.

صالون ميّ زيادة

ولا شك أن عمل والد ميّ بالصحافة فتح أمامها آفاقاً جديدة وإمكانات عديدة. فتعرفت إلى بعض زعماء الأدب والفكر آنذاك مما ساعدها على تأسيس صالونها الأدبي الأسبوعي عام 1912. وفتحت صالونها في الطابق العلوي من أحد مباني جريدة الأهرام بشارع مظلوم باشا في القاهرة، اعتادت ميّ زيادة أن تستقبل كل يوم الثلاثاء نخبة من الأدباء والمفكرين من مختلف الجنسيات العربية والأوروبية، ومنهم من يتحدث العربية والفرنسية والإنجليزية. ومن بينهم طه حسين وأحمد لطفي السيد وعباس محمود العقاد وأحمد حسن الزيات ومصطفى عبد الرزاق ومنصور فهمي وهدى شعراوي وملك حفني ناصف وسلامة موسى وإسماعيل صبري وأحمد زكي باشا وولي الدين يكن وأنطون الجميل ومصطفى صادق الرافعي وخليل مطران وحافظ إبراهيم وغيرهم شاركوا فيهم¹. فيتباحثون في شؤونهم ويتبادلون الرأي في نتائجهم كأنما ربطت بينهم صلة عائلية وثيقة. صار صالون ميّ الأدبي ظاهرة عربية في مجتمع شرقي فهو يحوي في جوهره التناقض الذي يعانيه الكيان اللبناني كله الذي أنت منه المهاجرة ميّ زيادة، فأصبحت ندوتها الأدبية الأسبوعية شهيرة.. لقد جرت عدة محاولات لإقامة صالونات أدبية تخلف صالون ميّ، لكنها باءت كلها بالفشل، وبقي صالون ميّ وحده كالنجمة المضيئة في المساء يجاوي باعتزاز أوتيل دي رمبوليه، ومجالس سكينه بنت الحسين².

ميّ أدبية الشرق والعروبة

ولم يقتصر اسم ميّ في الحياة الأدبية على ندوتها الأسبوعية أو اشتراكها المستمر في المناسبات والمحالف الفكرية الأخرى، بل استطاعت أن تقدم إلى قراء العربية ثلاثة عشر كتاباً أثرت بها الفكر العربي بما فيها من جمال

¹ الآداب، العدد العاشر أكتوبر، سنة 1963، ص 181.

² المجلة العربية، العدد 238، يونيو 1996، المملكة العربية السعودية، ص 81.

وخير وبحث ودرس وجدة وطرافة. ولعل دراستها العميقة الممتعة المملوءة بكثير من القصص والدقة عن وردة اليازجي وعائشة التيمورية عملها الجيدة. أطلعت مي على الأفكار الغربية المتطرفة منها والمعتدلة وكانت قراءاتها للآداب الأفرنجية واسعة متعددة، وكانت مكتبتها الخاصة لا تخلو من كتاب جديد في بحث جديد أو مذهب جديد أو رأي ذهب إليه ذاهب. كان ترددها على المكتبة العامة كثيرا وخاصة على القسم الأفرنجي. وكانت كتب الاجتماع تعجبها وتظفر من قلبها بمحل كبير، ويظهر أثر هذا الإطلاع الواسع العريض في كتاباتها المختلفة. وسافرت مي إلى أوربا غير مرة وشاهدت كثيرا من عواصمها ورأت أحوالها وشاهدها، فلم تأخذ معارفها من الغرب عن طريق الكتاب وحده بل رأت أن تستعمل في ذلك بصرها كما استعملت في الكتب بصيرتها.¹ الحق إن مي كانت تكتب ببعض هذه اللغات الأجنبية في الصحف والمجلات الأجنبية. كتبت بالإنجليزية رواية The Shadow on the Rock ونشرت في مجلة "سفنكس" الإنجليزية، كما كتبت مقالا بالفرنسية تخاطب فيه عصفورا صغيرا، وتعود بعد ذلك فكتبت مقالا بالعربية في الموضوع نفسه. فمي لم تهجر اللغات الأجنبية في سبيل محافظتها على شرفيتها ولكن على ضد من ذلك استعملت هذه اللغات لتدافع بها عن الشرق ولتري الناس سر المثالية الموجودة فيه.²

ولمي رأى شديد في الاقتباس عن عناصر المدنية الغربية، فهي لا تؤمن بأن هناك مدنيات متعددة للشرق والغرب والشمال والجنوب، ولكنها تؤمن بوجود مدينة واحد تعاونت الشعوب. وتردد مي كثيرا من مظاهر المدنية الغربية الحديثة إلى الشرق القديم. وكانت مي محافظة على الروح الشرقية بالرغم من اطلاعها الواسع على الآداب الغربية ولا تجد هي نفسها في الجمع بين الاثنين تراضا أو تناقضا. فهي لم تأذن للغات الأوروبية أن تتراحم مكان

¹ مي أدبية الشرق والعروبة، ص 51

² مي أدبية الشرق والعروبة، ص 53

العربية ولم تأذن لثقافة الغرب أن تطغى على شرفيتها، وهي لم تطلع على الآداب الغربية كما تقول "لنقتبس بل لتعرف وتستوحى".¹ كانت مي تؤمن بالنهضة الشرقية، وكانت ترى أن الصراع بين الشرق والغرب سيظل متتابعاً بين الفريقين فالغرب يدافع عن ثروته وحياته والشرق يطلب كذلك ثروته وحياته.² يظن الكثيرون أن الذكاء والجمال لا يجتمعان في امرأة واحدة لأن أحدها يفسد الآخر، لكن مي كسرت هذه القاعدة. إذ جمعت بين الذكاء الحاد والجمال الشرقي الرائع. مي لم تكن لبنانية فقط إنما هي خليط عربي أصيل، كتبت للعرب ودفنت في أرض العرب. دافعت مي عن اللغة العربية وبلاغة القرآن وفصاحته، كما تدفع عن حقوق المرأة العربية.³

المراجع:

1. سكاكيني، وداد، مي زيادة في حياتها وآثارها ، 1995، دار المعارف، مصر.
2. إبراهيم، إسماعيل ، شخصيات صنفت التاريخ، عالم الكتب، القاهرة.
3. مي زيادة: التوهج والأفول، طبعة الأولى ، 1978 ، بيروت.
4. سعد، أمل داعوق، فن المراسلة عند مي زيادة.
5. مجلة آفاق الإسلام، السنة الخامسة، العدد الثالث ، أيلول 1997، الدار المتحدة للنشر.
6. مجلة الثقافة، السنة الثامنة، العدد 93، يونية 1981، القاهرة.
7. مجلة الآداب، العدد العاشر، أكتوبر، سنة 1963.
8. مجلة العربي، العدد 196، مارس 1975، كويت.
9. مجلة الرسالة، 22 ذى القعد سنة 1938، السنة السادسة ، القاهرة.

¹ المرجع السابق، ص56

² بين الجزر والمد ص 171

³ مي أدبية الشرق والعروبة، ص 59